

الإهداء

إلى روح الشهيد الأسير عمر القاسم رحمه الله



استشهد في الرابع من حزيران 1989 في مستشفى السجن بعد أن أمضى في سجون الأسر الصهيوني 21 عاما كانت حتى وفاته أكبر مدة يقضيها أسير فلسطيني خلف القضبان. هو ابن القدس البار، فيها ولد، وفيها عاش، وفيها دفن. أهملوا علاجه، عمدا فاستشهد رافعا شارة النصر. انتصروا عليه بقتله، لكنه انتصر عليهم بصموده، وعدالة قضيته.

عندما ودعته في سجن نفحة في الأول من نيسان 1985، يوم الإفراج عني، عانقني ثلاث مرات، وفي قلبه وعينيهِ ثلاث دمعات، كأنه كان يعلم بأحاسيسه الداخلية، أنني لن أعانقه مرة أخرى، شددت على يديه معاهدا، فقد استطاع مع بعض الأسرى الأوفياء أن يقتحم ذاكرتي، ويصنع له فيه حصنا لا تؤثر فيه الرياح.

فهل أوفيه بعض حقه عندما أهديه هذا الكتاب؟ وهل يساوي هذا الإهداء دمعة من دمعاته؟



بقلم الكاتب والمؤرخ الفلسطيني عبد القادر ياسين

لا ينفصل المعتقلون في سجون الاحتلال الإسرائيلي عن المقاومة أو الحركة الوطنية الفلسطينية، فهم جزء عضوي حميم من المقاومة والحركة، على حد سواء. لكن هل هم أسرى، أم معتقلون، أم سجناء؟ بداية، ليسوا أسرى يتم تبادلهم مع توقف القتال. الأمر الذي لم يحدث مع المحتجزين لدى الاحتلال.

صحيح أن بعضهم في عداد المعتقل، بموجب "قوانين الطوارئ"، التي كان الانتداب البريطاني قد أصدرها في سنة 1945، وقامت يومها قيامة الصهاينة ولم تقعد، احتجاجاً على تعسف هذه "القوانين"، والأنكى أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تنتهك حتى هذه "القوانين" الجائرة، فقد استمرت تلك السلطات التمديد لمعظم المحتجزين الإداريين ستة أشهر في إثر ستة أشهر، إلى ما شاء الله، بينما "القوانين" الأصلية تشدد على اعتقال "المشتبه به" في أحد سجون مدينته، لمدة ستة أشهر، غير قابلة **للتمديد** إلا لستة أشهر أخرى فحسب، يفرج بعدها عن "المشتبه به". لذا أضاف المحتل الإسرائيلي حزمة من الأوامر العسكرية باللغة الجور على تلك "القوانين".

أما المحتجزون فيعاملون معاملة استثنائية في قمعها وسوئها، على نحو يفوق معاملة السجناء بمراحل. ومن هنا يصعب اعتبار أولئك المحتجزين سجناء. ولا يبقى إلا توصيف القانون الدولي لهم بأنهم رهائن لدى من احتجزوهم الذين تحولوا إلى عصابة تختطف أناساً، إلى أن تتحقق أطماع أولئك المحتلين، وهي تجاوزت مجرد "من النيل إلى الفرات"، حتى وصلت "من الخليج إلى المحيط"، حفزها على ذلك هذا الخنوع الرسمي العربي، لما يربو على ثلث القرن.

في المعتقلات أقام الرهائن حياة خاصة بهم، موازية للعالم خارج الأسوار، في المعيشة والسياسة والتنظيم والثقافة. دون أن يغفل الأسرى عن الإسراع باستحداث جهاز أمني خاص بهم، لحماية مجتمعهم الجديد. قد حرص الأسرى على بناء جسور مع الخارج، للتناغم مع تنظيماتهم خارج السجون. ما أهل

الأسرى للصدود، ومواصلة النضال، وتنظيم الإضرابات المطلوبة المتوالية في سبيل تحسين شروط سجنهم.

منذ حرب 1967 وحتى اليوم، احتجز في معتقلات الاحتلال الإسرائيلي ما يربو قليلاً على ثلاثة أرباع المليون فلسطيني، أي ما يوازي ربع مجموع أهالي الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين، مما يعكس مدى اتساع حجم ظاهرة الرهائن الفلسطينيين في سجون الاحتلال.

وهل هناك من يكتب عن معاناة المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي أولى ممن عانى من هذه السجون؟! وها هو عادل سالم يأخذ هذه المهمة على عاتقه، مودعاً تجربته في الأسر لدى الذاكرة الوطنية الفلسطينية، مقدماً قضية الأسرى الفلسطينيين إلى أمتهم العربية والرأي العام العالمي. وفاء لرفاقه في سجون الاحتلال، رغم مضي أكثر من عقدين على تحرر الكاتب من الأسر، ثم مغادرته الوطن إلى الولايات المتحدة، لكن الوطن استمر يسكن عادل سالم، شأن النسبة الأكبر من فلسطينيي المنافي.

كان المؤلف وعد شيخ الأسرى عمر القاسم بأن لا ينسى قضية الأسرى، وأن يسخر قلمه دفاعاً عنها. لذا أهدى الكاتب مؤلفه إلى "الأسير الشهيد عمر القاسم"، الذي قضى نحبه في سجون الاحتلال (4 / 6 / 1989)، بعد 21 عاماً قضاها يرصف في أصفاد تلك السجون.

يبدأ عادل كتابه ممهداً بفصل **ضافٍ** عن الأسر والتحقيق، وقد ضمّنه كل أساليب التعذيب الوحشي "النفسي والجسدي"، التي تستخدمها سلطات الاحتلال ضد الأسير، ويحرص عادل على تعزيز معلوماته بالتوثيق.

في الفصل الثاني يقوم المؤلف بجولة "في سجون القمع الصهيونية"، مستعرضاً الظروف غير الإنسانية التي يعيشها الأسرى هناك. مركزاً على "البرنامج اليومي للسجين"، ومختلف الأساليب التي يتبعها الأسير في مواجهته إدارة السجن. وشأن كل حالات الأسر، فإن العدو يعمد إلى تجنيد عملاء وجواسيس له من ضعاف النفوس بين الأسرى، الذين يكتشفونهم، أولاً بأول.

لا يغمط المؤلف "دور المرأة في الكفاح الوطني"، خاصة تلك الأسيرات القاصرات، أو تلك اللواتي يلدن خلف القضبان.

من واقع تجربته الشخصية، يستعرض الكاتب أوضاع سجون الاحتلال في كفار يونا، والرملة، وبئر السبع، فيما بين سنتي 1978 و1985. راصداً من قتله المحتلون، ومن أوصلوه إلى الجنون. فيما خصص المؤلف مبحثاً لسجن نفحة سئ السمعة، وسجن المعفار، المستخدم في التنقلات (تخشبية).

إلى ذلك يرصد عادل سالم مهمة الجواسيس في صفوف الأسرى، وكيفية اكتشافهم، قبل أن يستعرض شهادات لأسيرات فلسطينيات في سجون المحتل الإسرائيلي، فضلاً عن وليد وسناء اللذين "تزوجا داخل السجن وفصلت بينهما القضبان"، وكيف وعدا بإطلاق اسم "ميلاد" على أول أنجالهما، "لأنه سيشهد ميلاد الدولة الفلسطينية!"

معروف أن إدارة السجن لا تدع الأسرى وشأنهم، كما لا تكتفي بمصادرة حريتهم، بل إنها تتدخل حتى في مراقبة رسائلهم إلى ذويهم، ورسائل ذويهم إليهم.

يعزز عادل سالم هذا كله بياقة قوية من الملاحق، بداية من رسالة للأسير الشهير مروان البرغوتي إلى ابنه القسام، ثم "التقرير السنوي العام 2005 لجمعية الأسرى والمحربين" (حسام). أما الملحق الثالث فخصصه المؤلف لأسماء الأسرى الذين استشهدوا في الأسر. ويختتم الكاتب ملاحق كتابه بـ"قائمة الأسرى العرب"، فلسطينيين وغير فلسطينيين، ممن قضاوا أكثر من عشرين عاماً ولا يزالون قيد الأسر، حتى مطلع أغسطس/ آب/ أغسطس 2006.

بالصدق والحرارة والإيمان بالتحريير وفلسطين مستقلة ديمقراطية يقدم عادل سالم كتابه هذا، الذي تتعطش لمثله المكتبة العربية.

القاهرة في 6 / 10 / 2006

عبد القادر ياسين

أسرانا خلف القضبان الفصل الأول: الأسر، والتحقيق

تمهيد

الأسر أو الاعتقال، ليس الأسلوب الوحيد الذي تستخدمه السلطات الإسرائيلية المحتلة لمواجهة المناضلين الفلسطينيين، ولكنه أحد أساليب كثيرة تستخدمها في صراعها الدائم ضد الحركة الوطنية الفلسطينية، في محاولة مستميتة لإجهاضها وتفريغها من محتواها الوطني، ولتحويلها إلى حركة هامشية دون أية أهداف سياسية.

الأسر، والاعتقال، أو الحبس رغم أنه أحد أساليب كثيرة، إلا أنه الأسلوب الأكثر استخداماً والأكثر قمعاً ضد مناضلي شعبنا الفلسطيني، فهناك حسب إحصائيات وزارة الأسرى الفلسطينية في تموز 2006 في السجون الصهيونية 9850 أسيراً من بينهم أربعون نائباً في المجلس التشريعي وسبعة وزراء(1)، ويتوزع الأسرى المذكورون على نيف وثلاثين سجناً منهم 720 أسيراً من غزة والباقي من الضفة الغربية والدول العربية(2).

قبل البدء في الحديث عن طبيعة الأسر، وما يواجهه الأسرى الفلسطينيون والعرب في السجون الإسرائيلية، لا بد من إلقاء نظرة خاطفة على أهم الأساليب القمعية التي تستخدمها إسرائيل ضد المناضلين الفلسطينيين، وهذه الأساليب تتغير هبوطاً، أو صعوداً في كل مرحلة حسبما ترى الجهات الأمنية والسياسية الإسرائيلية ضرورة لها، لتنفيذ سياستها الاستيطانية، وإدامة احتلالها للأرض الفلسطينية، والعربية.

(1) الإبعاد عن أرض الوطن، وهو أسلوب قديم استخدمته إسرائيل بكثرة خصوصاً عام 1970 التي أبعدها فيها وزير الدفاع موشي ديان آنذاك أكثر من ألف فلسطيني إلى الأردن(3). والإبعاد نوعان: إبعاد دائم إلى خارج أرض فلسطين التاريخية، ومنع المبعده من العودة، وإبعاد مؤقت أي لعدد محدود من السنوات، ويتم إما إلى خارج أرض فلسطين التاريخية، أو إبعاد المواطنين من الضفة الغربية إلى قطاع غزة كما حصل مع كثير من المبعدين من الضفة(4). وقد استخدمت إسرائيل أسلوب الإبعاد بين الضفة والقطاع خلال انتفاضة الأقصى التي بدأت عام 2000 حيث تم إبعاد الكثير من المواطنين الفلسطينيين من الضفة إلى غزة، ولم تسمح لهم بالعودة حتى تاريخ هذه الدراسة.

(2) الإقامة الجبرية: تفرض على نشطاء العمل الوطني الجماهيري ويحدد مكان إقامتهم حسب مكان سكنهم في المدينة أو القرية أو المخيم، ويمنع الخروج من المنطقة المحددة، ويجب إثبات وجود يومي أو أسبوعي، والتواجد في البيت من مغيب الشمس حتى شروقها. ومع قدوم السلطة الفلسطينية قل استخدام هذا الأسلوب بشكل رسمي لكنه مورس بشكل جماعي، حيث يتم منع سكان منطقة معينة، أو قرية من مغادرة منطقة سكنهم، مع فرض الحصار عليهم.

(3) منع الدخول لمناطق محددة، مثلاً منع سكان غزة من دخول الضفة أو العكس. ومنع سكان نابلس مثلاً من دخول منطقة رام الله، بما يعنيه ذلك من تعطيل أعمال الناس ودراساتهم ومصالحهم اليومية.

(4) المنع من السفر، ثمة عشرات الآلاف منعوا من السفر، وهو أسلوب استخدم في الماضي بشكل خاص ضد الطلبة الذين يدرسون في الجامعات خارج أرض الوطن، للتضييق عليهم، ومساومتهم، بالتعامل معها أو منعهم من السفر فيخسرون سنتهم الدراسية. كما استخدم هذا الإجراء ضد نشطاء المؤسسات الجماهيرية في الماضي للحيلولة دون لقائهم مع مؤسسات دولية، وللحد من لقاءاتهم مع أفراد من م.ت.ف. عندما كانت قيادتها في الخارج. وبعد أوصلو استخدمت إسرائيل هذا الإجراء ضد مسؤولين من منظمة التحرير، والسلطة الفلسطينية، بمن فيهم رئيس السلطة الفلسطينية، الراحل ياسر عرفات الذي أجبر على عدم مغادرة مكتب مقاطعته في رام الله، واشترطت عليه إسرائيل إن أراد السفر عدم العودة إلى أرض الوطن. وفي الآونة الأخيرة أصبحت الحكومة الإسرائيلية تستخدم هذا الأسلوب بشكل واسع ضد عشرات الآلاف من المواطنين الفلسطينيين، وأحياناً ضد الشعب كله عندما تغلق المعابر وترفض فتحها تحت مبررات وهمية مثل مبرر نجاح حركة حماس في الانتخابات الفلسطينية الأخيرة عام 2006.

(5) استدعاءات يومية للتحقيق: وتهدف إلى تعطيل عمل المواطن الفلسطيني، ووضعه تحت الشبهة بسبب زيارته المتكررة لمراكز الاستدعاء، قل استخدام هذا الأسلوب في الضفة وانعدم في القطاع، بسبب التغييرات على الأرض، لكنه يستخدم في القدس، وفي فلسطين الداخل. وتتصح الحركة الوطنية أعضائها باستمرار بعدم الاستجابة للاستدعاء، وإذا أرادت السلطات التحقيق مع أي مواطن فلتعتقله رسمياً.

(6) زيارات المخابرات للشخص المعني للبيت أو العمل: وهي بهدف زرع الشبهة نحو الشخص الذي تتم زيارته، والإيحاء أنه جاسوس لإسرائيل، وكثيراً ما يقوم أفراد المخابرات بزيارة مناضل فلسطيني في بيته، ويسألونه

عن أحواله كأنهم يعرفونه منذ مائة سنة، ويطلبون الشاي والقهوة كحسن ضيافة.. بعض المواطنين كانوا يضطرون لاستقبالهم خوفا من التعرض للاعتقال، لكن القوى الوطنية كانت تنصح المواطنين طردهم، وعدم تقديم أي شيء لهم مهما كانت الإجراءات العقابية، لأن استقبالهم مرة يشجعهم على العودة مرات، للتضييق على الشخص المعني حتى إسقاطه أو تشكيك الناس به. هذا الأسلوب قل كثيرا بعد استلام السلطة الفلسطينية، بسبب إعادة انتشار القوات الإسرائيلية في بعض المدن والقرى، وبعد انتفاضة الأقصى. ويمارس في المناطق التي تسيطر عليها إسرائيل بشكل تام مثل مدينة القدس والداخل.

(7) تفتيش البيوت: وتتم معظم الأحيان بأسلوب استفزازي، حيث يقوم الجنود والمخابرات بالعبث بأدوات المنزل وتخريبها وتكسير بعض محتوياتها. يصحب التفتيش، اعتداءات على سكان المنزل أو العمارة السكنية، وتكسير بعض محتويات المكان.

(8) الاعتداء على مناضل معين بإرسال عملاء الاحتلال، وجواسيسهم للاعتداء عليه، أو إطلاق النار لإرهابه، أو تصفيته.

(9) تأخير معاملات رسمية للمواطنين، مثل تأخير شهادة الميلاد، تأخير إصدار بطاقة هوية، أو بطاقة عمل، رخصة قيادة، أو منع من التنقل، أو منحهم بطاقة هوية خضراء، بدل بطاقته الرسمية ذات اللون البرتقالي، أو الأزرق، ويمنع حاملها من التنقل، ويتعرض إلى اعتداء دائم من قبل جنود الاحتلال.. الخ. وكانت سلطات الاحتلال ترسل جواسيسها بين المواطنين ليعرضوا عليهم، حل تلك المشاكل وإنجاز معاملاتهم دون تأخير مقابل مبالغ خيالية من الفلوس يتقاسمها الجواسيس مع مسؤوليهم في قيادة المخابرات بعلم المؤسسة الرسمية للدولة، من أجل جعل الجواسيس المرجع، والملاذ للمواطنين في تسليك معاملاتهم.

(10) تصفية المناضلين (قتلهم عمدا)، وهذه الظاهرة ظاهرة اغتيال المطلوبين للسلطات أو المطاردين كما يسميهم الفلسطينيون، برزت بشكل واضح خلال انتفاضة الأقصى، وإن كانت قد مورست من قبل بشكل أقل، حيث اغتالت القوات الخاصة الإسرائيلية عشرات القادة الميدانيين مثل يحيى عياش(5)، وعماد عقل(6)، والسياسيين مثل عبد العزيز الرنتيسي وأحمد ثابت وأحمد ياسين، وأبو علي مصطفى، .. والقائمة تطول، ولا تزال تطارد غيرهم وتقتلهم كلما سنحت الفرصة، دون أي اعتبار لأية أنظمة دولية، أو حقوق إنسان. وتمارس السلطات الإسرائيلية سياسة الاغتيال بشكل مباشر عن طريق القوات الخاصة، أو عن طريق قصف البيت أو المكان الذي يتواجد فيه المناضل الفلسطيني بواسطة طائرة حربية، غالبا ما يستشهد معه عدد من المواطنين.

(11) إغلاق البيوت وهدمها، وتقوم بها السلطات عندما يكون الأسير متهماً بالقيام بأعمال عسكرية ضد أهداف إسرائيلية. وقد استخدم هذا الأسلوب بشكل أوسع قبل اتفاق أوسلو.

هذا بالإضافة إلى أساليب متنوعة أخرى تمارسها السلطات الإسرائيلية كما يحلو لها. وهي باستمرار تخترع أساليب جديدة تهدف إلى التضيق على المناضلين الفلسطينيين والشعب الفلسطيني لإجبارهم على التخلي عن أي نشاط أو انتماء لأي اتجاه سياسي، باختصار الاستسلام للاحتلال الصهيوني.

المناضلون في غرف التحقيق

الاعتقال السياسي، أو الأسر كما يسميه المناضلون الفلسطينيون، أو الاعتقال الأمني كما تسميه إسرائيل، أي اعتقال المناضلين الفلسطينيين الذين يناضلون من أجل تحرير بلادهم، ودحر الاحتلال عنها لبناء الدولة الوطنية المستقلة، وهو ما تعتبره إسرائيل مساً بأمنها حتى لو كان الأسير يعترف بحدود إسرائيل لعام 1967، هذا الاعتقال يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أنواع أو أشكال وهي كالتالي:

(1) الاعتقال الاحترازي المؤقت

حيث تلجأ السلطات الإسرائيلية إلى اعتقال مناضل أو مناضلين محددين قبل مناسبات معينة مثل "يوم الأرض" في الداخل الفلسطيني، ذكرى انطلاقة فصائل معين، أو قبيل انعقاد مؤتمر أو مسيرة جماهيرية للحيلولة دون قيام هؤلاء النشاط بأي دور محدد، وبالتالي التأثير على الحدث نفسه لمنع حدوثه، وغالباً ما يكون هذا الاعتقال لعدة أيام فقط، ولا يصحبه تحقيقات جدية إلا ما ندر، وهذا يختلف عن الاعتقال العشوائي الذي يتم إثر انفجار قنبلة مثلاً. والاعتقال المذكور يتم حالياً في فلسطين عام 1948 وفي القدس ولم تعد إسرائيل تهتم بالاعتقال الاحترازي في مناطق السلطة الفلسطينية، فهي تستعيز عنه بالتصفيات والاعتقال الإداري، وقد استخدمته في الماضي بشكل واسع، وخصوصاً في سنوات السبعينات والثمانينات.

(2) الاعتقال الإداري

وهو اعتقال يأمر به قائد المنطقة العسكري، ويتراوح بين ستة شهور إلى سنة قابلة للتجديد، دون إنذار مسبق. ولا يزال هذا الأسلوب يمارس حتى اليوم. فهذا النوع من الاعتقال يوفر على السلطات الإسرائيلية مسألة كشف مصادرها للمحامي، وحماية جواسيسها، وتستند إسرائيل في تطبيقها لهذا الإجراء غير الإنساني إلى قوانين الطوارئ زمن الانتداب البريطاني عام 1945(7).

لا يقدم المعتقل الإداري إلى محكمة عادية، وفي الماضي كانوا لا يقدمونه إلى المحاكم بتاتاً، وإنما تستمع إلى أقواله لجنة اعتراضات عسكرية تكون مهمتها

المصادقة على قرار قائد المنطقة، ومنذ عام 1988، فقد أمر وزير الدفاع بتقديم المتهم للمحاكمة دون منحه أو منح محاميه حق الإطلاع على أية أدلة للتهمة الموجهة ضده، وبالتالي عدم إمكانية المحامي من صياغة بنود مرافعته، وكانت المحاكم باستمرار تصادق على قرارات قائد المنطقة وتعطيها صفة "شرعية"، ولم يحدث أن رفض القاضي المصادقة على اعتقال أي أسير كان إدارياً.

ما قبل أو سلو بشكل عام فإن أوامر الاعتقال الإداري كانت تتم ضد نشطاء الحركة الجماهيرية مثل النقابيين، أو أعضاء الاتحادات الطلابية والمنظمات الجماهيرية والصحافيين، أو ضد شخصيات تصفها السلطات الإسرائيلية بشخصيات تحريضية تعرض على أمن إسرائيل. أما بعد أو سلو فإن أوامر الاعتقال الإداري أصبحت تستخدم ضد من تعتبرهم قادة، أو مسؤولين في فصائل المقاومة ضد الاحتلال والذين لا تتوفر لديها أدلة كافية لمحاكمتهم وإصدار الأحكام ضدهم.

وقد تعرض بعض المناضلين للاعتقال الإداري أكثر من مرة، ويعتبر المعتقل الفلسطيني "علي عوض الجمال" من جنين أكثر معتقل فلسطيني يقضي مدة حكم إداري متتالية، حيث قضى مدة ست سنوات، وتسعة أشهر، وأفرج عنه في الثاني من آذار - مارس - عام 1982 (8). السلطات الصهيونية قالت إن علي الجمال مشتبه بقتله ضابطاً إسرائيلياً لكنها عجزت عن تقديم أية أدلة تثبت ذلك.

وكثيراً ما كانت السلطات الإسرائيلية تقوم بتحويل بعض الأسرى إلى السجون الإداري بعد فشلها بانتزاع المعلومات منهم. وقد شهدت الأراضي المحتلة عدة فترات اشتدت فيها حملات الاعتقال الإداري بشكل واسع، وهذا الفترات هي:

أ- فترة ضرب الجبهة الوطنية واعتقال قادتها في أواخر 1973 ومطلع 1974.

ب- مطلع الثمانينات إثر النهوض الجماهيري للحركة الوطنية الفلسطينية وإحياء المؤسسة الجماهيرية، ومن ضمنها النقابات العمالية.

ج- منذ مطلع الانتفاضة، ولم تدخر السلطات جهداً في تطبيقه ضد أغلب النشطاء والمناضلين الفلسطينيين.

3) الاعتقال الثالث وهو الاعتقال المنظم، أو الأسر ويصحبه التحقيق مع الأسير الفلسطيني.

غالباً ما يكون تحت مبرر انتمائه لتنظيم محدد، والقيام بنشاطات وطنية تصغها إسرائيل بالأعمال الإرهابية، سواء كانت هذه النشاطات عسكرية، أو جماهيرية مثل مظاهرات أو مسيرات، أو أية أنشطة أخرى. ما قبل أو سلو كان مجرد الانتماء لتنظيم إدانة كافية تؤدي بصاحبها إلى السجن، حتى لو لم يقم بأية نشاطات كانت، وبعد أو سلو خفت كثيراً مسألة الاعتقالات والمحاكمات بتهمة العضوية في

تنظيم خصوصا ضد أعضاء التنظيمات التي أيدت أو سلو، أو لم تقاومها، وبقيت تلاحق نشاط المنظمات الإسلامية، بشكل خاص. أو التي تنشط ضد إسرائيل.

قرار الاعتقال

ليس شرطاً أن يصدر قرار الاعتقال ضد أي شخص فلسطيني من قبل قائد المنطقة الوسطى، كما هو الحال بالاعتقال الإداري، ولكنه يصدر عن جهاز المخابرات الإسرائيلي وبشكل خاص عن قائد المدينة أو اللواء. بعد صدور الأمر بالاعتقال تتوجه قوة من حرس الحدود برفقة عدد من أفراد المخابرات وتضم عدداً من الجنود، ومسؤول المنطقة الجغرافية المحددة، عادة ما يعرفه المناضلون الفلسطينيون لأنه هو المكلف باستدعائهم بين الحين والآخر، ولكن لا يعرفون عنه سوى اسمه الحركي الذي غالباً جداً ما يكون اسماً عربياً للتمويه، وللإيجاء بأن جهاز المخابرات غير معاد، مثل الكابتن سليمان، أبو نهاد، أبو سامر، وأبو أحمد.. الخ. بعد أو سلو كانت السلطات الإسرائيلية تقدم طلبات الاعتقال للمطلوبين إلى أجهزة الأمن الفلسطينية، وعندما لا تلبى الأجهزة الطلب كانت السلطات الإسرائيلية تقوم بذلك مباشرة، خارقة كل الاتفاقيات التي وقعت عليها مع السلطة الفلسطينية، وإذا تعذر اعتقاله، تلجأ إلى قتله بواسطة الطائرات الحربية، أو القوات الخاصة، وأحياناً تنتظر حتى يسافر المطلوب من مدينة إلى أخرى فتعتقله أمام حاجز للتفتيش.

تضم القوة المكلفة بالاعتقال أحياناً مسؤول اللواء نفسه وبعض المساعدين. وكما يروي الأسرى الفلسطينيون فإن القوة المكلفة بالاعتقال لا تقوم بتنفيذ الأوامر المكلفة بها إلا ليلاً، وتحديدًا بعد منتصفه، ولكنها في مناطق السلطة بعد انتفاضة الأقصى، أصبحت تنفذ أوامر الاعتقال في أي وقت تتوفر لها فيها معلومات بأن المطلوب موجود في مكان محدد، وأحياناً كثيرة تقوم المخابرات الإسرائيلية بإرسال فرقة خاصة تسمى فرقة المستعربين حيث يتخفى أفرادها بلباس أهل المنطقة، ويستخدمون سيارة محلية ويسيرون في المنطقة المحددة وما إن يعثروا على هدفهم حتى ينقضوا عليه بسلاحهم الشخصي، مهددين الأسير الفلسطيني بالموت إن لم يمثل لأوامرهم ويسلم نفسه.

في حالات الاعتقال الليلي التي كانت تتم قبل أو سلو، فهي تهدف إلى إرهاب المناضل الفلسطيني وجعله يعيش لحظات من الرعب والإرباك لنقله فوراً إلى غرف التحقيق، وهذا ما يفسر إحضار قوة كبيرة من الجيش للقيام باعتقال أحد المناضلين والضجة الكبيرة التي يفتعلونها مثل تكسير زجاج الشبابيك والطرق المتكرر بشدة على الأبواب رغم وجود حرس على الباب، ثم التفتيش الاستفزازي لمحتويات البيت دون مراعاة لحرمة أو وجود أطفال نائمين، بعد ذلك يتم عصب عيني المعتقل الفلسطيني، ونقله بسيارة الجيب إلى مركز التحقيق

في المنطقة، ويقوم أفراد حرس الحدود خلال نقل المعتقل بضربه والتنكيل به بطلب من المخابرات الإسرائيلية وحسب ما يتم توجيههم به. أحيانا يتم ضربه بالأحذية وطعنه بأعقاب البنادق كما يحلو لهم، ولا يعرف الأسير المعصوب الأعين متى يتلقى الضربة ولا أين ستكون الضربة التالية. ولا يختلف الأمر عندما يكون المطلوب امرأة وليس رجلا.

متى تلجأ السلطات الإسرائيلية إلى الاعتقال؟؟

السلطات الإسرائيلية في معظم الأحوال إن لم يكن جميعها لا تعتقل المواطن للتحقيق إلا بعد أن تعمل على تجميع معلومات واسعة عنه تساعد على فتح التحقيق، ومحاولة انتزاع الاعتراف وتعتمد إسرائيل في الغالب بتجميع المعلومات على الأساليب التالية:

(أ) جمع معلومات من خلال المراقبة والمتابعة، وذلك عن طريق الجواسيس. وهذا الأسلوب الأبرز. والجواسيس هنا نوعان: جواسيس مزروعون في الطرقات والمقاهي، وأماكن التجمعات السكنية، ..إلخ، وجواسيس مزروعون داخل التنظيمات أو الأجهزة الأمنية الفلسطينية.

(ب) جمع معلومات من خلال الأصدقاء، والأقارب الذين يتم استدعاؤهم للاستفسار منهم عن أمور قد تبدو شكلية وغير مهمة، مثل ميول المعتقل، هل يصلي؟ هل يشرب الخمر؟ ماذا يدخن؟ هل .. الخ.

(ت) معلومات يتم جمعها من خلال ضبط وثائق معينة لدى مdahمة بيت أحد المطلوبين، أو لدى الإغارة على مكاتب المنظمات الفلسطينية عندما كانت في لبنان، كما حدث عام 1972 عندما اقتحمت إسرائيل بيوت الشهداء كمال ناصر، كمال عدوان، ومحمد يوسف النجار، وعثرت على العديد من الوثائق تم على أثرها اعتقال الكثير من أعضاء الخلايا السرية في الوطن المحتل.

(ث) معلومات من خلال التنصت على الهواتف النقالة والبيئية ومراقبة الرسائل في الانترنت، من خلال المقالات التي تنشر إن كان المطلوب كاتباً أو صحفياً ومن خلال الأقمار الصناعية التي تراقب كل غزة .. الخ

(ج) اعتراف أحد الأسرى تحت طائلة التعذيب أو التهديد.

(ح) معلومات تستنتجها المخابرات من خلال تحليل المعلومات السابقة ومقارنتها والخروج باستنتاجات جديدة ومعلومات جديدة.

في غرف التحقيق

بعد اعتقال المواطن الفلسطيني ينقل فوراً إلى غرف التحقيق حيث يكون المحققون في الغالب بانتظاره. التحقيق لدى أجهزة المخابرات الإسرائيلية المدربة ليس أسلوباً ميكانيكياً فحسب، فالمحققون يستخدمون أساليب مختلفة وحيلاً منوعة تختلف من أسير إلى آخر، وحسبما يراه المحقق مفيداً في تحقيق أهدافه والتي هي أساساً انتزاع معلومات جديدة من الأسير. وقد تعددت أساليب التحقيق وتغيرت من فترة زمنية إلى أخرى، وكانت تتجدد باستمرار. بعضها لم يعد يستخدم في الوقت الحاضر، أو لم يعد من الأساليب الأكثر شيوعاً كما هو الحال مع الضرب الذي يؤدي إلى وجود علامات بارزة أمام هيئة المحكمة، وليس ذلك لأخلاق إنسانية لدى المحققين الإسرائيليين، ولكن لأن أساليب أخرى أنجع ويمكن أن تحقق الهدف مع الحفاظ على الصورة التي تحاول إسرائيل أن تنقلها إلى العالم زوراً، وهي أن إسرائيل تحافظ على حقوق الإنسان المهدورة فيها.

نادراً ما تعتقل المخابرات الإسرائيلية المواطن للتحقيق عشوائياً، إلا إذا كان ذلك في أعقاب انفجار قنبلة مثلاً، ولكن في حالات الاعتقال المنظم فإن الهدف الأساسي لدى المحقق هو انتزاع الاعتراف ليس إلا، وهو أي المحقق وإن كان يبدو أحياناً هادئاً أو مهاجماً يقدم الضربات المتتالية للمتهم، إلا أنه في الحقيقة يكون على أعصابه، متوتراً ينتظر لحظة الانتصار على المتهم، وفي كل دقيقة تمر دون حصوله على شيء يكون كمن يتلقى الضربات القوية من المتهم، ولكنها ضربات غير مرئية. إنه صراع بين إرادتين وليس صراع بين فردين، وهو لا يعتمد على ضخامة الجسم ولكن يعتمد على إرادة الصمود لدى الأسير نفسه.

وسنعطي هنا لمحة موجزة حول أشهر أساليب التحقيق وليس جميعها لأن المحققين يكتشفون كل مرة أساليب جديدة، ولن نسهب في شرح أساليب التحقيق لأنه موضوع شائك وواسع وأكثر تعقيداً من مجرد الكتابة عنه بأسلوب عابر، فهو ليس دراسة ميدانية أو أكاديمية، بل إرادة قوية يحملها من قضية إنسانية وعقائدية في داخله ويصر على تحقيقها والتمترس خلفها.

(1) الشبح أو الصلب

أشهر أساليب التحقيق التي تستخدم حالياً مع جميع الأسرى، أسلوب الشبح، أو كما يسميه أسرى آخرون (الصلب)، حيث يقوم المحققون بوضع رأس الأسير في كيس من القماش الوسخ والسميك، ليصعب معه التنفس، ثم توضع القيود أو الكلبشات حول يدي الأسير من الخلف، ويتم ربط المعتقل إلى ماسورة حديدية مثبتة في الحائط تكون عادة مثبتة أسفل اليدين (أسفل وسط الجسم) حتى لا يستطيع الأسير الحركة أو الجلوس، ويبقى في وضع غير مريح لا هو بالواقف على قدميه، ولا هو بالجالس، ويترك على هذه الحال ساعات طويلة، وأياماً

وصلت أقصى حد لها، حسب إفادات الأسرى إلى أسبوع كامل، لا يسمح خلالها للأسير بالذهاب لدورة المياه لقضاء الحاجة، إلا بعد أن يقضيها في ملابسه وهو مصلوب، أو مشبوح، وتمدد فترة الشبح حسب رغبة المحقق، وطريقته في إدارة عملية التحقيق ويتخلل الشبح عمليات تحقيق يومية، يقدم للأسير الماء ولكن ليس بانتظام كي لا يموت، أما الأكل فأحياناً يمنع عن الأسير فترات أطول من الماء وأحياناً يقدم حسب مواعيده، على كل حال فالطعام المقدم في التحقيق هو طعام لا يسمن ولا يغني من جوع، وغالباً ما يؤدي إلى إصابة الأسير بالإمساك.

أسلوب الشبح هو أهم أسلوب تستخدمه السلطات الإسرائيلية، وهو أسلوب تعذيب خبيث لأنه لا يترك أي أثر للتعذيب على الجسم، لكنه في نفس الوقت أسلوب وحشي يؤدي الأسير ويرهقه، وهو أصعب لدى كثيرين من الضرب نفسه. ولهذا يصاب العشرات من الأسرى بأمراض الدسك، وآلام الظهر، والمفاصل بسبب هذا النوع من التعذيب. وقد يبدو من النظرة الأولية للقارئ أن هذا الأسلوب سهل جداً لكنه في الحقيقة الأصعب، ويمكن لأي شخص أن يجرب مثلاً أن يبقى واقفاً دون حركة ليوم واحد فقط ليتأكد بنفسه. فهذا الأسلوب لا يؤلم الأسير فقط، لكنه يضعه في صراع نفسي أمام نفسه، يكون خلالها دائم التفكير، متى ستنتهي تلك الجولة؟ وكلما سمع أقدام السجناء خلفه أو أمامه، لا يدري هل جاء لياخذه للمرحاض، أم لضربه، أم أنه أحضر أسيراً آخر قريباً منه. هذا بالضبط ما يريده المحقق تماماً أن يترك الأسير في صراع نفسي خلال فترة الشبح.

بعض المحققين يجبرون الأسير على قضاء مدة الشبح والأيدي مرفوعة، وحتى يضمنوا بقاءها مرفوعة يتم ربطها بالجنازير أو الحبال... وأحياناً يتم شدّها قليلاً حتى يصبح الأسير واقفاً على نصف قدميه.

يجدر الإشارة إلى أن الأكياس المستخدمة في تغطية الرأس تكون أحياناً مليئة بروائح تننة مثل رائحة (الخراء) الذي يوضع خصيصاً لإهانة الأسير، وإجباره على الاعتراف. هذا عدا عن قيام السجناء بأمر من المحققين بضرب الأسير المشبوح بين الفينة والأخرى، ولا يعرف الأسير طبعاً متى تأتيه الضربة، ولا أين لأن الكيس على رأسه طوال الوقت. أحياناً كثيرة يكون الأسير المشبوح شبه نائم وهو واقف أو مسند على الحائط، فيفاجأ بضربة على ظهره أو بطنه أو بسكب الماء البارد جداً على رأسه فيصحو مذعوراً لا يعرف ماذا يفعل. أحياناً أخرى يأتي المحقق فيرفع الكيس عن رأس الأسير، ينظر في عينيه، ثم يبصق في وجهه، ويعيد الكيس كما كان، ويعود لمكتبه. يتفنن المحقق هنا في ساديته، فهو أحياناً يضرب أحد الأسرى في ساحة الشبح، ليسمع بقية الأسرى صوت صراخه. وعندما تطول مدة الشبح، ويرفض السجناء نقل الأسير إلى المرحاض يضطر الأسير تفرغ ما في جوفه على ملابسه، فتخرج رائحة كريهة، ويصبح الأسير في وضع مهين، ويبقى كذلك حتى يأتي السجناء ويقرر فك قيوده وسحبه للحمام ليستحم مما هو فيه.

(2) الإرهاب النفسي

يتفنن المحقق في إرهاب الأسير، ويستخدم كل الطرق والحيل للإيقاع به، فقد يهدد الأسير داخل فلسطين بالتسفير من البلاد، الإبعاد، أو سجنه مدة طويلة إذا لم يعترف، أو منعه من الدراسة إن كان طالباً، أو تهديده باغتصاب زوجته.. إلخ من التهديدات التي يحاول المحققون بواسطتها إشعار المعتقل أنها تهديدات جدية خلال التحقيق، وتختلف التهديدات من أسير إلى آخر، وتستند إلى ثقافة الأسير وعاداته، والبيئة التي تربى فيها. فعادة تهدد كل أسيرة بالاغتصاب كما يهدد بذلك الأسرى صغار السن (الأحداث).

والإرهاب النفسي لا يمكن تصويره نظرياً دون معرفة الظروف التي يعيشها الأسير. فالأسير الذي يمر على اعتقاله شهر كامل دون معرفة ما يدور في الخارج يهمله إخبار أهله مثلاً، ويتأثر بتلفيقات المحقق الذي يدعي مثلاً أن ابن الأسير الطفل قد تعرض لحادث سير، أو أن ابنته تم الاعتداء عليها، أو أن زوجته تخلت عنه وخانته وغير ذلك من حرب نفسية يحاول بواسطتها المحقق أن يقود الأسير إلى الانهيار التام.

أحياناً يأتي المحقق بجريدة من الجرائد المحلية وفيها خبر وفاة ابن الأسير تكون المخابرات قد أعدتها خصيصاً لذلك، لتؤكد صحة ادعاءاتها، وعندما يسأل الأسير عن ذلك، ويطلب بالاتصال بأهله تبدأ عملية المساومة.

من أساليب الإرهاب النفسي تشكيك الأسير بالمقاومة أو الثورة أو بقيادة التنظيم الذي ينتمي إليه بالادعاء مثلاً أن قادة الثورة بنوا البيوت والقصور ولديهم حسابات في سويسرا وأنهم الآن يتاجرون بأهله ويحرمونهم من المأكل والملبس ويرددون عليه شعار: مائة عين تبكي ولا عين أمي تبكي، ويأتون له بأمثلة عن شخصيات فاسدة كيف أثرت على حسابه، وأن إسرائيل تريد السلام، ولكن قادة تنظيمه الإرهابيين هم الذين يرسلون به ليسجن، وأولادهم الآن يتعلمون في باريس وووو هذه الأساليب لا تواجه إلا بالصمود، وعلى الأسير أن لا يتجاوب مع المحقق، ويبدأ بالتفكير بها أثناء التحقيق، وإلا قادته إلى الاتجاه الخاطئ.

(3) استخدام الماء البارد

خصوصاً في فصل الشتاء يستخدم المحققون الماء البارد في تعذيب الأسير، حيث يتم صب الماء البارد عليه أثناء الشبح الذي كثيراً ما يتم وهو عريان كما ولدته أمه، ثم ينقل بعد ذلك إلى غرفة مجهزة بالتدفئة المركزية، ليخرجه بعد ذلك إلى الماء البارد مرة أخرى، وهكذا دواليك حتى يقتنعوا بعدم جدوى أساليبهم، أو يعترف بالتهم الموجهة إليه. وهذا الأسلوب من التحقيق يؤدي إلى مرض الروماتيزم في أغلب الأحيان، وخلال ممارسته يصيب الأسير بالدوار ووجع الرأس.

(4) التهديد بالعمق

نجح لفترة طويلة في انتزاع الاعترافات من الشبان، عندما استخدم لأول مرة في مطلع الثمانينات، فقد كان المحققون يهددون المعتقل بأنهم سوف يعطونه إبرة تؤدي إلى العمق، وأنه لن ينجب أطفالاً إذا تزوج.. وحتى يؤكدون صحة أقوالهم فقد كانوا بالفعل يحضرون إبراً حقيقية مليئة بسائل غير معروف يوهمون الأسير به أنه السائل المؤدي إلى العمق، وأنه لن ينجب أطفالاً بعد اليوم، وستسخر منه زوجته في المستقبل وتقول له: أنت لا تنفع.. ثم يدخلون الإبرة في قضيب الأسير، ويقذفون السائل داخل القضيب، وهي عملية معقدة لا يقوم بها إلا محققون مدربون على استخدام الإبر(الحقنة).
وعندما كان المحققون يفشلون في إجبار الأسير على الاعتراف، يوهمونهم أن الإبرة الأولى تؤدي للعمق 10 سنوات مثلاً ثم يهددونه بالإبرة الثانية المؤدية إلى العمق الدائم، فإن أبدى لا مبالاة بتهديداتهم، انتقلوا إلى أسلوب جديد في التحقيق.

(5) غرف الجواسيس أو غرف العار

وتسمى أحياناً بغرف العصافير، وهي غرف داخل السجن أو في مراكز التحقيق يكون جميع نزلاتها من المتساقطين، والمتعاونين مع المخابرات الإسرائيلية، التي تضعهم في غرف خاصة للأهداف التي سنذكرها لاحقاً.

بعد مراحل معينة من التحقيق -حسب مزاج المحقق- يقوم المحقق بإيهام الأسير، أن التحقيق معه انتهى، وأنه سوف ينقل إلى غرف السجن، ثم ينادي السجن ويأمره بنقل الأسير إلى غرف السجن، وينقل بالفعل إلى إحدى هذه الغرف وهو متوهم أنه الآن بين إخوته ورفاقه الذين يستقبلونه استقبالاً حاراً، ويقيمون له احتفالاً خاصاً، ويعرفون أنفسهم إليه بأن هذا مسؤول فتح مثلاً، وذلك مسؤول حماس وآخر مسؤول الجبهة الشعبية، والديمقراطية، والجهاد الإسلامي.. الخ، وبعد ساعة من التعارف، والطرب، أو بعد يوم حسب الظروف يجتمع معه أحد الجواسيس الذي يمثل عليه أنه مسؤول التنظيم في السجن الذي اتهم الأسير بالانتماء إليه ليطلب منه تقريراً مكتوباً عما جرى معه في التحقيق، وعن أوضاعه خارج الأسر، تحت حجة أنه سيرسلها لمسؤولي التنظيم في الخارج لأخذ احتياطاتهم.

وإذا انطلت هذه الحيلة على الأسير، وكثيراً ما انطلت على أسرى، فإن ما يكتبه سوف يكون في اليوم التالي أمام مسؤول التحقيق الذي سوف يواجهه به، وإذا تردد الأسير، أو رفض فإنه سيتعرض للضرب، والاعتداء من قبل الجواسيس الذين يقلبون الحكاية، ويتهمونه بأنه جاسوس ويعتدون عليه باسم الثورة والثوار..

غرف العار أصبحت معروفة جداً هذه الأيام، لذلك لا ترسل لها السلطات الأسرى الذين سبق أن اعتقلتهم، لأنهم يكونون على دراية بهذه الممارسات القذرة. نزلت هذه الغرف يكونون في العادة من الجواسيس المحترفين ولديهم إمام بالقضايا

التنظيمية والسياسية ليؤدوا أدوارهم بشكل تام. يقول الأسرى دائما أن كل أسير يدخل السجن مطالب أن لا يبوح لأحد بأية أسرار عن علاقاته خارج السجن لأي شخص كان. وقد أشار تقرير لنادي الأسير الفلسطيني أن أكثر من 80 بالمائة من الأسرى الذين اعترفوا كان اعترافهم عن طريق غرف العار(9)، وكما أشرنا فإن نزلاء هذه الغرف مدربون بشكل جيد ويظهرون داخل الغرف بملابس الأسرى، وغرفهم تزينها صور القادة الفلسطينيين، والشهداء المقصوفة من الجرائد والمجلات. وعندما يستقبلون أسيرا جديدا فإنهم يحتفلون به ويبدأون جميعا بالغناء، والأناشيد الثورية، والوطنية، بصور مرتفع، ليأتي السجنانون ويطالبونهم بالهدوء ويبدأون بشتمهم فتحصل معركة كلامية بين الجواسيس والسجانين وهي معركة مفبركة لتوهم الأسير أنه بين الأسرى الحقيقيين وليس بين الجواسيس، وحصل أحيانا أن قام السجنانون بضرب الجميع بالغاز المسيل للدموع بحجة عدم امتثالهم لأوامر السجنان.

وقد ذهبت إسرائيل أبعد من ذلك، حيث عملت على تشكيل نوعين من غرف العار، فإن فشلت في انتزاع اعتراف الأسير عن طريق الغرفة الأولى، تنقله إلى الثانية، فيستقبله نزلاء الغرفة الثانية، ويهنتونه بالسلامة لأنه استطاع أن يخرج سالما من غرفة الجواسيس والعملاء، ويؤكدون له أنه بطل مغوار، ويعيدون معه الكرة بعد عدة أيام ولكن بأسلوب جديد.

(6) الضرب

أسلوب من أساليب التحقيق، تستخدمه السلطات الإسرائيلية بأشكال مختلفة، سواء ضرباً بالعصا، أو بالأيدي، والأرجل..إلخ، وأحيانا تستخدم السلطات أسلوب الضرب بالمسطرة على الجهاز التناسلي، أو تثبيت الأيدي، والأصابع على طرف الباب ثم إغلاق الباب بقوة عليها. والضرب يستخدم بطرق متنوعة كثيرة، حسب قناعة المحقق بالأسلوب الأفضل للوصول إلى الهدف. يمارس المحقق الضرب أحيانا بشكل مباشر بيديه وأحيانا أخرى يأمر السجنان بالقيام بالمهمة نيابة عنه. وفي بعض الحالات يتبادل الضرب أكثر من محقق لإرهاب الأسير ودفعه للاعتراف. وقد ذكر بعض الأسرى أنه تم ربطهم من أرجلهم وضربوا ورؤوسهم للأسفل وأعينهم معصوبة ولا يعرفون من أين تأتي الضربة، وفي سجن الخيام ذكر أسرى لبنانيون أن عملاء الاحتلال وجواسيس لحد كانوا يأتون بالكلاب لتنهش لحم الأسرى وهم مشبوحون من أرجلهم وقد استشهد بعض الأسرى تحت التعذيب.(10)

(7) تهديد الأسير بالاعتداء على زوجته

حيث يتم اعتقال زوجته لعدة أيام ويقوم المحقق بتهديد الأسير بأنه سيغتصب زوجته أمامه، ثم يبدأ المحقق بوضع يده على جسم زوجة الأسير، ويسألها إن كان زوجها يقوم بواجبه معها، أم أنه بارد، ثم ماذا ستعمل بعد أن يسجن لسنوات طويلة وهي في عز شبابها، وجمالها، يبدأ المحقق بفك أزرار البنطلون، وعندما

يرى عدم مبالاة الأسير يتوقف عن محاولته لكن إذا رآه يتصب عرقا فإنه يزيد في محاولته حتى ينهار الأسير أمامه.

(8) تعرية الأسير وتهديده باغتصابه

وفعلا فقد تم اغتصاب بعضهم بإدخال عصا في مؤخراتهم لكنهم رفضوا التعاون مع المحقق، واستمروا بصمودهم رغم اغتصابهم، كما حصل مع الأسير اللبناني السابق الشيخ مصطفى الديراني في السجن السري 1391. وهناك كثيرون تعرضوا لمحاولات اغتصاب، ولطبيعة ثقافة البلد من النادر جدا أن تجد أسيرا اغتصب يتحدث عن تلك التجربة، وإن أسر بها لرفيق هنا أو هناك، فهو يرفض أن تدون في سجلات ووثائق رسمية، مع أنها وصمة عار تسجل في تاريخ إسرائيل وحركتها الصهيونية.

الاجتصاب من أبشع الأساليب التي استخدمها المحققون الصهاينة ضد الأسرى الذكور، والإناث على السواء. ففي 28 أكتوبر 2004 ذكرت الأسيرة السابقة نور أبو حجلة من شمال الضفة الغربية في حوار مع فضائية العربية أجرته هديل وهدان أن المخابرات الإسرائيلية خيروها بين الاعتراف أو الاغتصاب، حيث قال لها المحقق بالعربية العامية: اسمعي نحن لم نأت بك هنا لأننا مهابيل. أمامك خياران إما أن تعترفي، ثم تغادرين السجن، أو فإن الغرفة الأخرى جاهزة بكل شيء، فأت تعرفين ما هو الشيء المحرم عندكم. إن أحببت، فهذا شيء عادي عندنا، تدخلين إلى الغرفة المجاورة، ونحن سنعمل ما نريده، باختصار عندنا اغتصاب وعندك اعتراف. ولك أن تختاري.

وفي فيلم **نساء في صراع (11)** الذي أنتجته بئينة خوري تتحدث الأسيرة السابقة عائشة عودة عن تعرضها للاغتصاب، وعرضها عارية أمام كل رفاقها الذين أسروا معها عام 1969 في محاولة لدفعها للانهياء، وتقول رسمية عودة، رفيقة عائشة عودة في الأسر في نفس الفترة: إن أكثر ما ترك أثارا سلبية فيها هو عرضها عارية أمام أبيها الذي اعتقلته قوات الاحتلال لتضغط عليها أثناء التحقيق (12). ويعتبر كتاب عائشة عودة (أحلام بالحرية) الصادر عن مؤسسة مواطن في فلسطين وثيقة دامغة بحق إسرائيل تكشف طرق التعذيب الوحشية التي مورست ضد أسيراتنا وهي واحدة منهن اعتقلت عام 1969 ومورس ضدها أبشع أنواع التعذيب، وبكيفية أنها شاهدت بأم عينها استشهاد رفيقها في المجموعة قاسم أبو عكر أثناء التحقيق (13).

وتقول الأسيرة قاهرة السعدي (27 عاما) وأم لأربعة أطفال، صدر بحقها حكم بالسجن المؤبد ثلاث مرات وثلاثين سنة أنها تعرضت للتحرش الجنسي من قبل المحقق الصهيوني الذي سمى نفسه بسام (أبو يوسف) (14).

أما الأسير (س.م)، فقالت أنها تعرضت للتهديد باغتصابها في سجون الاحتلال عندما كان يحقق معها رجل المخابرات وصرخ بها: «إن لم تعترفي فسأفعل بك

كذا وكذا» وتعرضت بعدها للتعرية الكاملة ووضعها في رنزانة انفرادية لمدة تتجاوز الساعتين، ومن ثم أعطيت ملابسها لتستتر جسدها. (15)

وجاء في شهادة الأسيرة لنان يوسف مليطات (24 عاما) من قرية بيت فوربك قرب نابلس، أنها اعتقلت على الحاجز العسكري الإسرائيلي المعروف باسم حاجز حوارة. ثم نقلت إلى سجن بيتح تكفا وهناك تعرضت للتحرش الجنسي. (16)

أما إنعام حجازي من غزة فقد أفادت في تصريح أدلت به لطاهر النونو من غزة عن أسرها عام 1970:

(بعد أن انتهت جولات التحقيق الأولى ووصلت إلى الزنزانة جاء محقق يطلق على نفسه اسم (أبو موسى) طويل القامة، وشديد العنف معي، وأخذني إلى غرفة وهددني أن يحضر شخصا لاغتصابي، ولم أصدق في بادئ الأمر إلى أن أحضر جنديا ضخم الجثة، وأخذ يشدني وحاول تمزيق ملابسني فضربته بهاتف كان على المكتب بكل قوتي عدة مرات على رأسه حتى سال دمه، فتدخل المدعو أبو موسى، وأخذ يضربني بشدة وبعنف غير مسبوق(17).

وأدلت الأسيرة الفلسطينية ثروت أحمد سعيد حمدان من سكان نابلس 27 سنة والمعتقلة منذ تاريخ 2006/4/1 والقابعة في سجن الشارون (تلموند) بشهادة لمحامية نادي الأسير الفلسطيني عن تعرضها لتعذيب قاسر ومحاولة التحرش بها وتهديدها بالاعتصاب أثناء اعتقالها والتحقيق معها في مراكز التحقيق الصهيونية بهدف أنتزاع اعترافات منها. (18)

(9) **إهانة الأسير وشتمه والبصق عليه.** وتحقير أهله وزوجته وأمه الخ وإصاق الصفات السيئة به. أحد الأسرى أفاد أنه تم التبول عليه وهو مرغم على الجلوس على الأرض.

(10) **الضرب على العضو التناسلي.**

ربط العضو التناسلي للأسير في خيط وشده بين الفينة والأخرى. أو ضرب عضوه التناسلي بالمسطرة، أحد الأسرى أفاد أنهم أحضروا له سجانة إسرائيلية، وأمرت بشد قضيبه، وهم يضحكون عليه لأن قضيبه لا ينتصب.

في المحصلة فإن أساليب التحقيق متنوعة، وكثيرة وقد أتينا على أمثلة منها ليس إلا، وباختصار فإن المحقق يستخدم مع كل أسير أسلوباً أو عدة أساليب يراها تحقق أهدافه، حتى يصل إلى مفترق طرق انتزاع الاعتراف، أو اقتناعه بأن لا فائدة من استمرار التحقيق مع الأسير، لأنه فعلاً لن يعترف، وإذا وصل المحقق إلى القناعة الأخيرة من البداية فإنه سينتهي التحقيق على الفور، إلا إن كان يريد الانتقام منه لأنه متهم بانفجار، أو عملية استشهادية حينها سيكون له معه شأن آخر.

في سنوات السبعينات كان الأسير ظافر صندوقة من القدس في المسكوبية قد تعرض لأساليب متنوعة من التحقيق دون أن يعترف بشيء، فجاء به المحقق إلى غرفة التحقيق، وأجلسه على الكرسي وقال له انظر ماذا ترى على الطاولة؟ عصا غليظة وكأسا من الماء، (كان ظافر قد مر عليه يوم كامل بدون ماء) وهدده قائلاً:

- سأعود بك إلى الزنزانة لكي تفكر، أمامك عشر دقائق سأعود لك بعدها، فإما أن تعترف وتشرب كأس الماء وإما أن لا تعترف وحينها سوف أعريك وأضربك بهذه العصا حتى تموت يا ابن ...

بعد عشر دقائق عاد المحقق للزنزانة وعندما فتح الباب، فوجئ أن ظافر صندوقة عريان كما ولدته أمه، فسأله المحقق لماذا أنت عريان؟ فرد عليه قائلاً: أنتظر عصاك.

لم يتوقع المحقق هذا الرد لكنه اقتنع على ما يبدو أن هذا الأسير لن يعترف ولا داعي لإضاعة الوقت معه، فنقله إلى السجن الإداري (سجن بأمر عسكري بدون محاكمة يتجدد كل ستة أشهر).

في سنوات الثمانينات طلب أحد المحققين من السجناء اليهودي أن يقدم الأكل إلى أحد الأسرى في التحقيق كان المحقق قد منع الأكل عنه، وهدده بالموت جوعاً حتى يعترف، وبعد فترة جاء السجناء ورأى الأسير في الزنزانة ومعه الأكل، فسأله من أحضر الأكل لك؟ فلم يرد، فسحبه إلى غرفة التحقيق وضربه، ثم أحضر أحد السجناء وسأل الأسير:

- هل هذا هو من قدم الأكل لك؟ فلم يرد ونفى معرفته بالسجناء. بعد ذلك أنهى المحقق التحقيق معه، بعد أن أدرك أن الأسير الذي لا يعترف على سجان وهو عدوه فلن يعترف على رفاق دربه.

ومع ذلك فإن الحركة الوطنية الفلسطينية تعرف في قرارة نفسها أن الصمود في التحقيق ممكن لكل شخص يضع نصب عينيه هدفاً واحداً - وهو عدم إعطاء أية معلومات لأحد سواء كان محققاً أو غيره، وما أجدر بالأسير أن يكون شعاره دائماً: "عين أمي تبكي أفضل من أن تبكي عيون كل أمهات شعبي".

من التحقيق إلى غرفة التوقيف

بعد انتهاء التحقيق مع المناضل الفلسطيني ينقل إذا لم يفرج عنه، من الزنزانة وغرف التحقيق إلى أحد سجون التوقيف انتظاراً لاستكمال المحاكمة، في الماضي قبل أوصلو كانت السجون في الضفة الغربية وغزة قريبة من أماكن التحقيق لكنها في فلسطين عام 1948 (إسرائيل) بعيدة عنها.

وسجن التوقيف هو السجن الذي يقضي فيه الأسير المدة الممتدة بين انتهاء التحقيق حتى إصدار قرار الحكم عليه من قبل محكمة عسكرية إسرائيلية تتألف من قاض عسكري أو ثلاثة قضاة حسب الاتهامات الموجهة للأسير المتهم، وينقل بعد ذلك إلى أحد السجون المركزية.

فترة التوقيف تمتد من عدة أسابيع إلى سنة، وهناك حالات استمرت محاكمتها أكثر من ذلك. في الإطار العام فإن ظروف الأسر في السجون المركزية وسجون التوقيف متشابهة، إلا أن سجون التوقيف بسبب تغير نزلائها كل شهر وأحياناً كل أسبوع، وضعف خبرة نزلائها بإدارة السجون تساهم في جعل سجون التوقيف أسوأ كثيراً من السجون المركزية.

السجون المركزية

بعد صدور قرار الحكم على الأسير ينقل فوراً إلى أحد السجون المركزية، عبر سيارة خاصة يطلق عليها اليهود اسم (البوسطة). بعضهم ينقل فوراً إلى السجن المحدد، وآخرون ينقلون مؤقتاً إلى قسم خاص في سجن الرملة يسمى بالعبرية (المعغار) لعدة أيام، أو أسابيع حتى تقرر إدارة السجون السجن الذي سترسلهم إليه، وحتى يأتي دورهم، لأن سيارة البوسطة تدور حول السجون أسبوعياً حسب برنامج خاص محدد سلفاً، والقسم الخاص المذكور في سجن الرملة يعتبر مركزاً للتنقلات بين السجون.

وتعتبر الشروط الصحية في هذا القسم من أسوأ الشروط في كل السجون الإسرائيلية، مع العلم أن الأسرى المرضى الذين يخضعون للعلاج في مستشفى سجن الرملة، وهو المستشفى المركزي للسجون كلها، مضطرون إلى قضاء عدة أيام فيه قبل نقلهم إلى المستشفى.

السجون التي تستخدمها إسرائيل لسجن الأسرى الفلسطينيين حالياً معظمها موجود داخل حدود فلسطين عام 1948 (إسرائيل) وكان معظمها قبل أوصلو في الضفة والقطاع.

بشكل عام قبل افتتاح سجن "جنيد المركزي" في نابلس عام 1984 والذي كان يضم حوالي ثمانمائة سجين فلسطيني، فقد كانت جميع السجون كبيرة العدد داخل حدود إسرائيل لعام 1967.

أبرز سجون القمع الإسرائيلية في ظل انتفاضة الأقصى (19)

أولاً : سجن عسقلان

يقع في مدينة عسقلان العربية المحتلة، جنوبي مدينة المجدل، وهو أحد المراكز العسكرية التي أقامتها قوات الانتداب البريطاني عام 1936 وقد استخدم بعد الاحتلال الإسرائيلي عام 1967 للضفة والقطاع، كمركز لاحتجاز الأسرى والمعتقلين الموقوفين من أبناء قطاع غزة.

افتتح هذا السجن لاستقبال الأسرى الفلسطينيين بتاريخ 11/2/1969 واكتفى في حينه بعدد من الأسرى، ولم يستقبل غيرهم حتى عام 1979. وتطلق سلطات الاحتلال على هذا السجن اسم: **سجن شيكما**

يحيط بالسجن سور يرتفع نحو ستة أمتار، ومحاط بالأسلاك الشائكة .. إضافة إلى أبراج المراقبة، إذ أن هذا السجن يضم أولئك الأسرى الذين تقل مدة محكوميتهم عن " 15 " سنة . يتميز هذا السجن بزنازينه الرطبة التي لا تدخلها أشعة الشمس، وحرارتها المرتفعة.

يخصص للأسير متر ونصف، والغرف دائما مزدحمة. ويتكون سجن عسقلان من قسمين رئيسيين: قسم يحتجز فيه المعتقلون المحكومون وآخر للموقوفين. قسم المحكومين مفصول عن قسم الموقوفين وهناك تبادل زيارات بين الأسرى مرة واحدة في الأسبوع.(20)

ثانيا: سجن نفحة الصحراوي



يبعد سجن نفحة الصحراوي 100 كم عن مدينة بئر السبع، ومائتي كم عن مدينة القدس ويبعد السجن من أشد السجون الصهيونية، وأقساها ، ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أنه استحدث خصيصا للقيادات الفلسطينية من الاسرى في مختلف السجون لاختصاصهم للموت التدريجي، وعزلهم عن بقية السجون الأخرى.

يتكون سجن نفحة في الوقت الحاضر من بناءين، أحدهما بناء قديم والآخر جديد صمم على الطراز الأمريكي المخصص للسجناء الجنائيين وتجار المخدرات، ويحاط هذا السجن بتحصينات أمنية شديدة للغاية . وهو سجن صحراوي بارد جدا شتاء حار جدا صيفا. ويتكون البناء الجديد في سجن نفحة من تسعة أقسام للأسرى

وقسم للسجناء الجنائيين اليهود المسجونين هناك للعمل، بحيث يقومون بالأعمال التي يرفض الأسرى القيام بها، في هذا القسم يوجد حوالي 800 أسير فلسطيني (21) ولا تتجاوز مساحة الغرفة الواحدة (3×5 متر) يوجد بها مرحاض ومغسلة ويبلغ ارتفاع الغرفة نحو مترين ونصف، بها نافذة واحدة للتهوية مساحتها نحو (120×80 سم). ويخرج الأسرى إلى الفورة مرتين في اليوم مرة في الصباح وأخرى في المساء بما مجموعه قرابة ثلاث ساعات يوميا ولا تتجاوز مساحة الفورة (100 متر مربع) تحيط بها جدران إسمنتية سميكة يصل ارتفاعها إلى نحو 6 أمتار يعلوها شبك حديدي. وعلى الرغم من حاجة الأسرى الماسة للخروج إلى الفورة إلا أن الكثيرين منهم يحجمون عن الخروج بسبب ضيق المساحة المخصصة وعدم إمكانية مزاوله بعض التمارين الرياضية فيها حيث أن أرضيتها ملساء جدا و تؤدي إلى التزحلق. (22)

ثالثا: سجن جلبوع

سجن جديد يقع في غور بيسان بجوار سجن شطة القديم، افتتح في نيسان 2004 ويتكون من خمسة أقسام، وفي كل قسم هناك 15 غرفة، وتتسع كل غرفة الى 8 أسرى، ويشهد اكتظاظا شديدا حيث لا تكفي الأسرة للأسرى الموجودين الآن حيث وصل العدد إلى 680 أسيراً وبالتالي يضطر بعضهم لافتراض الأرض، والسجن عبارة عن قلعة حصينة أقيمت من الإسمنت المسلح والفولاذ، ويحاط بجدار ارتفاعه تسعة أمتار ويوجد في أعلاه صاج مطلي، وقد شارك خبراء إيرلنديون في التخطيط لهذا السجن على طريقة السجون الأيرلندية. (23)

رابعا: مركز المسكوبية في القدس مركز تحقيق وتوقيف

يقع في مدينة القدس الغربية، ضمن ما يسمى بالمعسكر الروسي أو ساحة الروس، أقيم في عهد سلطات الانتداب البريطاني، وكان يعرف بالسجن المركزي مخصص للتوقيف والتحقيق، بشكل خاص للجنائيين، ويوجد في قسم منه مركز للتحقيق مع الأسرى الفلسطينيين. يعتبر مركز المسكوبية المركز الرئيسي لشرطة القدس الإسرائيلية فهو يضم مكاتب الشرطة والتحقيق، ومكاتب المخابرات العسكرية والمدنية. يجري في هذا السجن التحقيق مع الأسرى من سكان القدس بشكل خاص.

خامسا: سجن هداريم



يقع سجن هداريم على مقربة من سجن تلموند، جنوبي الخط الممتد بين مدينتي طولكرم وبتانيا على الطريق القديمة المؤدية إلى الخضيرة، وهو سجن حديث نسبيا، أسس على نظام السجون الأمريكية، أقسامه على شكل دائري وقد أنشئ بالأساس كسجن مدني إلا أن أقسامه فتح لاحقا للأسرى الفلسطينيين. وقد أدخل أول فوج من الأسرى إليه في شهر تشرين أول 1999 . ويتكون السجن من ثمانية أقسام ويتسع لنحو 600 أسير، وله إدارة مستقلة.(24)

سادسا: سجن كفار يونا

يقع سجن كفار يونا على بعد 12 كيلو متر من مدينة طولكرم على طريق بتانيا شمالي تل ابيب وجنوبي حيفا، وهو مقام على منطقة عربية تدعى " بيت ليد"، وهو أحد المراكز العسكرية التي أقامها الانتداب البريطاني، وحولته سلطات الاحتلال الإسرائيلية لاحقا إلى معتقل لاحتجاز الأسرى الفلسطينيين.

استخدم سجن كفار يونا عام 1967 كسجن للمومسات اليهوديات حتى أواخر عام 1968 حيث تم نقلهن إلى سجن نفي ترتسا في سجن الرملة . وبتاريخ 15 كانون أول - ديسمبر 1968 تم افتتاحه لاستقبال الأسرى الفلسطينيين. (25)

سابعا: سجن شطة



يقع هذا السجن في غور بيسان جنوبي بحيرة طبرية .. حيث الحرارة المرتفعة والتي تصل في فصل الصيف لأكثر من 40 درجة مئوية. ويحيط بالسجن جدار عال من الاسمنت المسلح يصل ارتفاعه إلى 3.70م يعلوه سياج شائك وأبراج ستة للمراقبة. وإلى جانب الغرف الصغيرة، تنتشر الزنازين الانفرادية التي يزج بها المعتقلون الفلسطينيون، يحتجز في السجن حالياً نحو 140 أسيراً فلسطينياً من سكان القدس وداخل الأراضي المحتلة عام 48 بالإضافة إلى عدد من الجنائيين(26). تم افتتاح هذا السجن أول مرة عام 1953 في قلعة تاغرت وفي مبني خان من أيام الحكم العثماني. يتمكن السجن من استيعاب 800 سجين من أسرى وسجناء جنائيين.(27)

ثامنا: سجن بئر السبع (إسرائيل تسميه سجن إيشل)

يقع سجن بئر السبع على بعد خمسة كيلو مترات جنوب المدينة، على طريق أم الرشراش (إيلات) في منطقة صحراوية. وقد افتتح هذا السجن بتاريخ 1970/1/3 . ويحيط به سور مرتفع يتراوح ارتفاعه بين (8-9 أمتار) فوق سطح الأرض وتمتد جذوره إلى ثلاثة أمتار تحت الأرض، وقد أقيم بشكل متموج بحيث يصعب تسلقه، وقد ثبت سلك حلزوني في طرفه العلوي من الداخل، وتحيط بالسور من الخارج طريق ترابية ممهدة بحيث يظهر أثر أي شيء يتحرك عليها وتلي تلك الطريق طريق أخرى لسيارات القوة المكلفة بالحراسة.

أقامت سلطات الاحتلال ثمانية أبراج عالية للمراقبة فوق السور سعة كل برج حوالي عشرين متراً مربعاً، عدا البرج الرئيسي المقام فوق الباب الكبير الذي تبلغ مساحته ثلاثين متراً مربعاً ويتسلح حراس الأبراج بالأسلحة النارية الخفيفة والمتوسطة في حين يتسلح حراس البرج الرئيسي بالمدافع الرشاشة، ومدافع من عيار 500 ملم وذلك لأن هذا البرج هو حلقة الاتصال الرئيسية بين إدارة المعتقل ومديرية السجون العامة والمؤسسات الأخرى في فلسطين وخارجها.

الباب الرئيسي للمعتقل لا يفتح إلا بأمر من حراس البرج الرئيسي الذين يشرفون على كل من يدخل أو يخرج منه. وتبلغ مساحته أكثر من كيلو متر مربع. في السجن تسعة أقسام رئيسية وقسمان فرعيان، ويتسع كل قسم من الأقسام الرئيسية ما بين (100-110) سجين(28).

تاسعا: سجن الدامون

افتتح سجن الدامون الواقع في أحراش الكرمل عام 1953، بعد قرار من وزير الشرطة آنذاك بخور شيطريت. الاسم الأصلي للسجن كان (سجن حيفا - مخيم دامون). قبل أن تصادفه وزارة الشرطة كان موقع سجن الدامون ملكاً لعائلة فلسطينية مسيحية هي عائلة كرمان.

وقد أغلق هذا السجن عام 2000، ولكن أعيد افتتاحه في أيلول عام 2001 بعد

الانتفاضة الأخيرة بسبب كثرة الأسرى. يوجد في هذا السجن حوالي خمسمائة سجين، معظمهم من الأسرى وقسم واحد منهم من السجناء الجنائيين (29)

عاشرا: سجن مجدو

يقع سجن مجدو في منطقة مرج بني عامر ويتبع منطقة حيفا حيث تقع إلى الشمال منه العفولة، وجنوباً جنين. وتعتبر منطقة مجدو مكانا عسكريا قديما، وقد وقعت فيه معركة قديمة شهيرة بين الفراعنة والأشوريين، وذكرت منطقة مجدو في الكتب السماوية عند اليهود والنصارى، وأنه ستقع فيها الملحمة الكبرى بين اليهود وأعدائهم، ويطلق على هذه المعركة " هارمجدون ". وقد تم افتتاح معتقل مجدو للأسرى في شهر آذار من عام 1988 مع بدء الانتفاضة الأولى حيث كان يقيم فيه قبل ذلك جنائيون، ويوجد به ستة أقسام منها خمسة أقسام مفتوحة (خيام)، وقسم آخر مكون من غرفتين فقط . ويتبع معتقل مجدو لسلطة الجيش الإسرائيلي وليس مصلحة السجون الإسرائيلية. يبلغ عدد الأسرى فيه نحو 700 أسير، معظمهم من ذوي الأحكام المنخفضة نسبيا بالإضافة إلى عدد من المعتقلين الإداريين (30)

حادي عشر : سجن صرفند

يعتبر هذا السجن مركز تحقيق ومكانا لممارسة أشنع أنواع التعذيب. يتألف من بناية كانت تستخدم في عهد الانتداب البريطاني، وتقسم إلى قسمين، الأول يضم الزنازين، وتشرف عليها المخابرات، مساحة كل زنزانه لا تتجاوز المتر المربع الواحد، بحيث لا يتمكن المعتقل من النوم. القسم الثاني، مجموعة من الغرف الصغيرة، حاليا حول إلى سجن عسكري يحظر على المؤسسات والمنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان زيارته وبذلك فإن المعلومات المتوفرة عن هذا المعسكر .. قليلة. ويعتقد بأن عدد من الأسرى المفقودين رهن الاعتقال في هذا المعسكر(31).

ثاني عشر: سجن تلموند

يقع جنوبي الخط الممتد بين مدينتي طولكرم وتنانيا على الطريق القديمة المؤدية إلى الخضيره، وقد شيد هذا السجن خصيصا للأحداث من العرب واليهود، و يقسم إلى قسمين - قسم للأحداث الذكور و آخر للأحداث الإناث، يحيط بالسجن سور عال يصل ارتفاعه لثلاثة أمتار، و أربعة أبراج عالية للمراقبة. وعلى الرغم من أن هذا السجن يعتبر مركزا للإصلاح و خاصة للفتيان اليهود .. فإننا نلاحظ ومن خلال المعلومات التي تخرج منه ..مدى الجرائم المنظمة التي تحدث في صفوف هؤلاء الفتيان .. إضافة إلى انتشار المخدرات بكافة أنواعها . يحتجز

في السجن حاليا عدد كبير من الأطفال الفلسطينيين المعتقلين دون سن 16 عاما بين عدد من المعتقلين الجنائيين اليهود الأمر الذي يهدد حياتهم بالخطر ويجعلهم عرضة للانتهاكات المتكررة(32).

ثالث عشر: سجن الرملة

يقع سجن الرملة في منتصف الطريق بين مدينتي اللد، والرملة المحتلتين عام 1948 تحيط به الأسوار العالية، فتحت أبوابه لاستقبال الأسرى الفلسطينيين منذ اليوم الأول للاحتلال الإسرائيلي للضفة والقطاع 1967 وقد عملت إدارة المعتقل الأسرى بشكل وحشي جداً. معظم نزلاء هذا السجن هم من الجنائيين اليهود ويوجد عدد من الأسرى بينهم وهم في الوقت الحاضر من فلسطيني الداخل (1948)، وبعض سكان القدس.



سجن أيلون في الرملة

ويتكون هذا السجن من عدة أقسام هي: المستشفى، التنقلات، ويسمونه بالعبرية المعبار، ومعاليه إياهو، نيتسان، العزل، الخيام، نفي ترتسا للنساء. ويعتبر كل قسم من الأقسام منفصل عن الآخر من حيث الإدارة.

سجن نيفي ترتسا أنشئ عام 1968 يتسع السجن لـ 220 أسيرة. سجن نيتسان كان بداية معتقلا داخل سجن أيلون أنشئ عام 1978 وسمي الرملة لكن في عام 1981 استبدل اسمه إلى نيتسان على اسم مديره الذي قتل نفس العام من قبل أحد السجناء وهو يتسع لـ 740 أسيرا



سجن نيفي ترتسا للنساء

أما سجن أيالون فقد أنشئ عام 1950 وكان في الماضي مركزاً للشرطة البريطانية (33).

رابع عشر: سجن النقب ويسمى أنصار 3

تم إعادة افتتاحه خلال انتفاضة الأقصى عام 2001 وكان قد أُغلق سابقاً بعد افتتاحه في 17 آذار 1988 بسبب احتجاجات دولية على شروطه غير الإنسانية والمهينة.

كتسبعت "حسب الاسم الصهيوني أو "أنصار 3" حسب الاسم الفلسطيني، هو السجن المقام في صحراء النقب، وهو ليس أحسن حالاً من "عوفر"، فهو حار جداً في النهار وبارد جداً في الليل، وفيه حوالي 1000 سجين منهم 350 سجيناً إدارياً، ويعاني هذا المعتقل من المشاكل ذاتها في سجن "عوفر"، إضافة إلى وجود الحشرات والزواحف، ووجود حمام واحد لكل عشرين أسيراً في خيمة لا تتوفر فيها شروط الحياة (34)

خامس عشر: سجن عوفر

تم افتتاحه خلال انتفاضة الأقصى في الأول من نيسان عام 2002 . **مساحة** سجن "عوفر" نحو 400 دونم ، وكان أنشئ أيام الانتداب البريطاني ، **وفيه حوالي** 1400 أسير، منهم حوالي ألف معتقل إداري، يعيش في كل خيمة من خيامه 30 أسيراً يعانون من نقص الطعام والملابس (35).

سادس عشر: سجن بنيامين في الخليل:

سجن صغير مقارنة بالسجون الأخرى، وينتشر البق والحشرات فيه، وتعتبر إدارته من المستوطنين الأكثر عنصرية (36).

سابع عشر: سجن بيت ايل

عبارة عن مجمع للدوائر الحكومية الإسرائيلية مثل المحاكم وأقسام المخابرات والشرطة ويقع جنوب شرق رام الله وهو عبارة عن مركز توقيف.

بعد الاحتلال الإسرائيلي لما تبقى من الأراضي الفلسطينية عام 1967 أقامت سلطات الاحتلال مستوطنة قرب رام الله باسم (بيت ايل).

وكانت بيت ايل مقرا للحاكم العسكري، والمدني في الضفة الغربية، حيث توجد فيها رئاسات الإدارات المختلفة المخابراتية، والعسكرية، والصحية والتعليمية، وغيرها وكلها يقودها ضباط كبار في جيش الاحتلال(37).

ثامن عشر: سجن الجلعة

تم إعادة افتتاحه خلال إنتفاضة الأقصى، ويقع على مفترق الجلعة على الطريق العام ما بين حيفا والناصرة(38)

تاسع عشر : سجن كفار عتصيون

يقع هذا السجن في مقر الإدارة المدنية والعسكرية الاحتلالية بين الخليل وبيت لحم، قريبا من العروب، بدأت إسرائيل باستخدامه بعد إعادة تموضع قوات الاحتلال في محافظة بيت لحم، إثر البدء بتطبيق المرحلة الأولى من اتفاقيات أوسلو. ويحيط بهذا المعسكر مستوطنة غوش عتصيون المقامة على قرى فلسطينية. (39)

عبارة عن مركز تحقيق لسكان شمال الخليل مثل العروب وبيت فجار .

عشرون: سجن عتليت أو كرمل

افتتح سجن "كرمل" عام 1985. وكان في الماضي سجنا مؤقتا، بسبب الازدحام الذي ساد السجون في ذلك الوقت، وسمي سجن عتليت. وفي السنوات الأولى لقيامه كان السجناء يقيمون في الخيم. وقد بدأ الانتقال إلى المباني الثابتة عام 1990 وانتهت هذه المرحلة عام 1991. نزلاؤه من السجناء البالغين، المحكومين بالسجن حتى ثلاث سنوات، أو لا تتجاوز المدة المتبقية من محكوميتهم ثلاث سنوات. يتسع السجن لاستيعاب 500 أسير. يقع جنوب حيفا(40).

واحد وعشرون: سجن بيتح تكفا في مدينة بتاح تكفا، وهو مركز صغير يستخدم للتحقيق بشكل خاص

اثنان وعشرون: سجن معسكر حوارة معسكر أقيم بالقرب من نابلس ينقل إليه أسرى المنطقة بشكل أولي للتحقيق معهم ثم ينقلون إلى مراكز تحقيق أخرى داخل إسرائيل. ويقع في أطراف مدينة نابلس .

ثلاثة وعشرون: سجن سالم شمال مدينة نابلس، سجن صغير أقرب لمعسكر الجيش منه للسجن.

أربعة وعشرون: سجن مركز توقيف المجنونة

عبارة عن معسكر لقيادة الجيش الإسرائيلي، ومركز تحقيق وتوقيف لأسرى جنوب الخليل ويتسع ما بين 20 - 30 معتقلا ويقع في الخليل(41).

خمسة وعشرون: معتقل قدوميم

ويقع هذا المعتقل في محيط معسكر للجيش الإسرائيلي، ولا يبعد المعتقل عن مخازن الأسلحة الثقيلة والذخائر في هذا المعسكر سوى أمتار معدودة، بالإضافة إلى أنه يوجد بجانب المعتقل حقل رماية نارية يسبب فزعا دائما للأسرى على مدار الساعة بسبب إطلاق النار وصوت الانفجارات المتتالية بالإضافة الى تشكيله خطرا على الاسرى.

والمعسكر جزء من مستوطنة كفار قدوميم المقامة على أراضي قريتي كفر قدوم استحدث هذا السجن بعد عملية الجدار العازل عام 2002 لاستيعاب الأعداد الكبيرة من الأسرى(42).

سنة وعشرون: السجن السري 1391



بدأت الضجة عن هذا السجن عام 2003 (43) مع أنه مقام قبل ذلك، وطالبت مؤسسات حقوقية إسرائيلية في التماس قدمته الأحد 7 أيلول 2003 للمحكمة العليا في إسرائيل، بوضع السجن السري المعروف باسم 1391 تحت الرقابة، وإلغاء السرية المفروضة عليه (44). وكشفت شهادة لأسير لبناني يدعى أحمد بنجك اعتقل في المنطقة الحدودية عندما كان يحاول إدخال صاروخ، عن عمليات تنكيل وتعذيب شديدة تجري للأسرى، الذين يوضعون في زنابن صغيرة مطلية باللون الاسود، ولا يوجد لها أي شبك سوى مروحة صغيرة للتهوية في أعلى السقف، وأن بعض المحققين يضربون الأسرى على أعضائهم التناسلية، وأن البعض تم الاعتداء عليه جنسيا (45). وجاء في شهادة الأسير راغب بدر (38) عاماً) مدقق الحسابات من نابلس لاحدى المؤسسات الحقوقية حول السجن السري :

(اعتقلت في 2002/12/10 وبعد تحقيق استمر 31 يوما من قبل الشاباك في سجن بيتاح تكفا نقلت إلى منشأة اعتقال سرية، وعندما تم نقلي عصبا عيني ووضعوا نظارات سوداء فوقها، ثم ألقوني على أرضية سيارة ووضعوا فوقى غطاء، وطيلة مسافة الطريق لم أتمكن من معرفة اتجاه سير السيارة، ولا المكان الذي نقلت إليه، وعند وصولي غطوا رأسي بكيس ثم وضعوني في زنابنة صغيرة مطلية باللون الاسود، وقد أمضيت أربعين يوما حسب عدي للأيام، لكنني لم أكن أعرف مكان وجودي وعندما كنت أسأل المحقق أو الجنود، كانوا يخبرونني أنني تحت الارض، أو داخل غواصة، أو في الفضاء الخارجي، أو خارج حدود إسرائيل)

ويضيف بدر في شهادته: (هناك جنود يلبسون ملابس عسكرية يخدمون في السجن، لكن لا يسمح للأسير برؤيتهم، وعندما يحاولون فتح باب الزنابنة يأمروني بوضع كيس على رأسي، ورفع يدي للأعلى والاصطفاف نحو الحائط، وعندما يتم نقلي إلى غرفة التحقيق تتخذ نفس الإجراءات، وطيلة الفترة لا يسمح لي باستقبال أي محام، وداخل الزنابنة يوجد وعاء بلاستيك لقضاء الحاجة، ولا يسمح للسجين بالاستحمام، وبالنسبة لي كانت أول مرة أستحم بها بعد 11 يوما و فقط لمدة خمس دقائق، لم يحضروا لي خلالها منشفة، وعندما

نقلوني إلى القاضي لتمديد فترة اعتقالني في سجن الجلما، شرحت له الظروف الصعبة وأنني لا أملك ملابس ورائحتي كريهة، وعند رجوعي إلى السجن السري أعطاني الجنود ملابس مستعملة لكنها جيدة ولم يعطوني منشفة(46).

وكان جوناثان كوك الصحفي البريطاني أول من استطاع التقاط صورة للسجن 1391 وعرف مكانه وقد نشرها مع مقال له في صحيفة لوموند الفرنسية في 12 تشرين ثاني (نوفمبر) عام 2003(47). يتكون السجن من بناية اسمنتية، بوسط كيبوتس في أعلى تلة محاطة بالأشجار الحرجية والجدران المرتفعة في وسط إسرائيل. يحيط بالسجن برجاً مراقبة يوفران الحراسة العسكرية، والمراقبة المكثفة لمحيط المنطقة. يبدو السجن من الخارج كأى مركز شرطة بناه البريطانيون في الثلاثينات إبان انتدابهم لفلسطين، وتستغل هذه الأبنية كقواعد عسكرية، وتتم الإشارة إليها من خلال لافتات طرق يكتب عليها أرقام فقط(48).

وجاء في مقال الكاتب المذكور أن السجن 1391 ليس بمكان معرّف على الخرائط، كما تم محوه عن الصور الجوية وإزالة لافتة الطرق المرقمة الدالة عليه. لقد أزلت الرقابة جميع ما ذكر حول موقع السجن من الإعلام الصهيوني(49).

المعلومات القليلة المتوفرة تشير إلى أن أساليب التحقيق تشتمل على التعذيب النفسي، والجسدي بشكل روتيني. الأسير اللبناني السابق الشيخ مصطفى الديراني، والذي اختطف على يد القوات الصهيونية الخاصة من لبنان في العام 1994، قضى فيه ثماني سنوات مع الأسير الشيخ عبد الكريم عبيد قبل الإفراج عنهما بعملية تبادل الأسرى(50).

في هذا السجن تم الاعتداء على الأسير القائد الشيخ مصطفى الديراني الذي رفع قضية على محققيه بتهمة تعرضه للاغتصاب، وجاءت اتهامات الديراني لتثبت ما جاء في الشهادات التي أدلى بها جنود خدموا في هذا السجن السري. يقول أحد المحققين: أعرف أنه كان من المألوف التهديد بإدخال العصا في مؤخرة الأسير إذا ما رفض المعتقل التجاوب(51).

العريضة التي وقعت من قبل 60 شرطياً صهيونياً للدفاع عن المحقق المدعو الرائد جورج(52) لم تنكر أن مثل هذه الممارسات قد نفذت، ولكن رأت أنه من الظلم صب الملامة عليه بشخصه، وذلك لممارسته أساليب العمل المتبعة في ذلك السجن. جورج بنفسه اعترف بأن تعرية المعتقلين من ملابسهم بشكل كامل كان تصرفاً معتاداً أثناء عملية التحقيق(53).

المصادر

- 1- عبد الناصر فروانة، وزارة الأسرى، 18 تموز 2006 بحث منشور في فلسطين : http://falasteen.com/article.php3?id_article=7650
- 2- المصدر السابق.
- 3- غسان عبد الله، المبعدون الفلسطينيون - دار الأسوار - عكا 1987
- 4- مركز العودة الفلسطيني، 6 تموز 2004 :
<http://www.prc.org.uk/data/asp/d4/234.aspx>
- 5- المهندس الشهيد يحيى عياش رمز الجهاد وقائد المقاومة في فلسطين، المؤلف غسان دوعر، عن المركز الفلسطيني للإعلام، غير معروف تاريخ الإصدار، ربما عام 2001.
- 6- المركز الفلسطيني للإعلام، http://www.palestine-info.info/arabic/hamas/leaders/emad_agel.htm
- 7- دراسة عن الاعتقال الإداري، إصدار مركز باحث للدراسات، بيروت. 24 شباط 2006
http://www.falasteen.com/article.php3?id_article=7693
- 8- المصدر السابق.
- 9- نادي الأسير الفلسطيني، تقرير رقم 112-2006 صادر في 26 حزيران 2006
- 10- في زيارة للكاتب إلى سجن الخيام بعد التحرير عام 2001، كانت لافئات داخل السجن تشرح في كل مكان أساليب التعذيب التي اتبعت مع الأسرى اللبنانيين.
- 11- محمد عبيدو، مصر، بثينة خوري في فيلمها الجديد، ديوان العرب، 10 حزيران 2006 : http://diwanalarab.com/article.php3?id_article=4744
- 12- أحلام بالحرية، عائشة عودة، تجربة اعتقالية، مؤسسة مواطن بالقدس عام 2004
- 13- المصدر السابق
- 14- نادي الأسير الفلسطيني، تقرير كانون أول - ديسمبر 2004
- 15- الباحث هشام سلامة : <http://www.albayan-magazine.com/files/asra/2.htm>
- 16- المصدر رقم 5
- 17- عبد الناصر عوني فروانة، وزارة الأسرى والمحررين http://www.palestinebehindbars.org/hrka_nea_1.htm
- 18- فلسطين اليوم، 25 أيار 2006
- 19- بعض السجون التي كانت قائمة قبل اتفاقية أوسلو عام 1993 في الضفة والقطاع، تم تسليمها إلى السلطة الفلسطينية لأنها تقع في الأماكن التي تسيطر عليها، ونقلت إسرائيل نزلاءها إلى سجون جديدة تحت سيطرتها.

- 20 عبد الناصر عوني فروانة، وزارة الأسرى، سجون ومعتقلات
<http://www.palestinebehindbars.org/sjoon.htm>
- 21 موقع مصلحة السجون الإسرائيلية.
<http://www.ips.gov.il/ShabasArab/Prisons/Nafha.html>
- 22 المصدر رقم 20
- 23 المصدر رقم 20
- 24 المصدر السابق
- 25 المصدر السابق
- 26 المصدر السابق
- 27 مصلحة السجون الإسرائيلية:
<http://www.ips.gov.il/ShabasArab/Prisons/shata.html>
- 28 المصدر رقم 20
- 29 مصلحة السجون الإسرائيلية: سجن الدامون
- 30 المصدر رقم 20
- 31 المصدر السابق
- 32 المصدر السابق
- 33 المصدر السابق
- 34 المصدر السابق
- 35 المصدر السابق
- 36 المصدر السابق
- 37 المصدر السابق
- 38 المصدر السابق
- 39 المصدر السابق
- 40 المصدر السابق
- 41 المصدر السابق
- 42 المصدر السابق
- 43 شبكة أمين للإعلام العربي، عيسى الشرباتي، 8 أيلول 2003 -
www.amin.org/news/issa_sharabati/2003/sept/sept08.htm
- 44 المصدر السابق.
- 45 المصدر السابق.
- 46 المصدر السابق.
- 47 جوناثان كوك : <http://www.jkcook.net/Articles2/0125.htm>
- 48 المصدر السابق.
- 49 المصدر السابق.
- 50 المصدر السابق.
- 51 المصدر السابق.
- 52 المحقق الصهيوني الذي حقق مع الشيخ مصطفى الديراني، وفي العادة لا يعلن عن الأسماء الحقيقية للمحققين ويستخدمون أسماء حركية للتمويه.
- 53 المصدر السابق.